

الفصل الثالث

الجبار جل جلاله يضحك

- ١- ضحك الرحمن يستوجب الطمع في رحمته .
- ٢- ضحكه سبحانه من آخر أهل الجنة دخولاً .
- ٣- ضحكه سبحانه من قاتل ومقتوله يدخلان الجنة))
- ٤- الرحمن جل جلاله يضحك من صنيع أبي طلحة وزوجه .
- ٥- سيد الأنصار يضحك له الرحمن .
- ٦- ثلاثة أصناف أخرى يضحك الله لها .
- ٧- ثبوت التبشيش كما ثبت الضحك .

الجبار جل جلاله يضحك

لقد أثبتت السنة النبوية الضحك للحق سبحانه ؛ كما جاء ذلك في أحاديث عدة ؛ لكنه ينبغي أن نؤمن بهذه الأحاديث التي يسميها العلماء : أحاديث الصفات - وكذلك آياتها - من غير تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تجسيم .

يقول الشيخ مرعي في كتابه (أقاويل الثقات) : وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث ، على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ، ولا نفسرها ، مع تنزيها له عن حقيقتها .

روى الإمام اللالكائي عن محمد بن الحسن قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب ، على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه .

وعن أم سلمة رضي الله عنها في قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥) ، قالت : «الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، والبحث عنه كفر»^(١) .

ولله در الإمام السيوطي حين قال :

قل لمن يفهم عني ما أقول	قصر القول فذا شرح يطول
هو سر غامض من دونه	ضربت والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف إياك ولا	قدر من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدري صفات ركبت	فيك حارت في خباياها العقول
أين منك الروح في جوهرها	هل تراها فتري كيف تجول ؟
أين منك العقل والفهم إذا	غلب النوم ؟ فقل لي يا جهول

(١) انظر : أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات ، مرعي بن يوسف الكرمي ، ص ٦٠ ، ط الرسالة الأولى ١٤٠٦هـ .

أنت آكل لحبز لا تعرفه
 فإذا كانت طواياك السقي
 كيف تدري من على العرش
 كيف تجلى الله؟ أم كيف يرى؟
 هو لا كيف ولا أين له
 وهو فوق الفوق لا فوق له
 جل ذاتاً و صفات و سما
 كيف يجري منك أم كيف تبول؟
 بين جنبيك كذا فيها خلول
 لا تقل كيف استوى كيف الزول؟
 فلعمري ليس ذا إلا فضول
 وهو رب الكيف والكيف يحول
 وهو في كل النواحي لا يزول
 وتعالى قدره عما أقول

وما أجمل ما قاله القائل :

هو أول هو آخر هو ظاهر
 حجته أسرار الجلال فدونه
 صمد بلا كفاء ولا كيفية
 سبحانه من عنت الوجوه لوجهه
 ما كان يُعبد من إله غيره
 هو باطن ليس العيون تراه
 تقف الظنون وتخرس الأفواه
 أبداً فما النظراء والأشباه
 وله سجود أوجه وجباه
 والكل تحست القهر وهو إله

وضحكه سبحانه : من هذا الباب ، إذ أنه من الصفات التي يجب الإيمان بها دون تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل . قال الخطابي : الضحك الذي يعترى البشر عندما يستخفهم الفرح غير جائز على الله تعالى ، وإنما هنا مثل ضرب لهذا الصنيع الذي يحل محل الإعجاب عند البشر فإذا رأوه أضحكهم^(١) .

ويقول ابن القيم : ومن هذا ضحكه سبحانه من عبده حين يأتي من عبوديته بأعظم ما يحبه ، فيضحك سبحانه فرحاً ورضاً ؛ كما يضحك من عبده إذا ثار عن وطائه وفراشه ، ومضاجعة حبيبه إلى خدمته ، يتلو آياته ويتملقه .

ويضحك من رجل هرب أصحابه عن العدو فأقبل إليه ، وباع نفسه لله ، ولقاهم نحره حتى قتل في محبته ورضاه .

(١) انظر : فتح الباري ، ٤٠/٦ .

ويضحك إلى من أخفى الصدقة عن أصحابه لسائل اعترضهم فلم يعطوه ،
فتخلف بأعقابهم وأعطاه سرّاً حيث لا يراه إلا الله الذي أعطاه .

فهذا الضحك منه حباً له وفرحاً به .

وكذلك الشهيد حين يلقاه يوم القيامة فيضحك إليه فرحاً به ، ويقدمه عليه .

وليس في إثبات هذه الصفات محذور البتة ، فإنه فرح ليس كمثله شيء ،
وضحك ليس كمثله شيء ، وحكمه حكم رضاه ومحبته وإرادته وسائر صفاته ؛
فالباب باب واحد ، لا تمثيل ولا تعطيل^(١) .

ضحك الرحمن يستوجب الطمع في رحمته :

إن رياً يصف نفسه بالضحك لرب كريم ، ولن يعدم عباده منه الخير أبداً ، وهذا
ما قاله الأعرابي للنبي ﷺ ؛ ففي الحديث : أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى
رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له : نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق .
قال لقيط : فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ فوافيناه حين
انصرف من صلاة الغداة وقلت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده ونظره ؛

(١) انظر : مدارج السالكين ، ابن القيم ، ٢١٦/١ . لكنه ينبغي أن تكون طريقة عرض هذه الآيات
والأحاديث الموهمة للتشبيه كعرض القرآن الكريم لها ، وعرض رسول الله ﷺ لها ، ونعني بهذا
ألا تجمع الصفات في مقام واحد ، فيكون الأمر أكثر إيهاماً للتشبيه ، وفي ذلك يقول القرضاوي :
وتلك الحقيقة : أن تعرض هذه الصفات كما وردت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، أعني :
أن تذكر مفرقة لا مجموعة ، فكل مسلم يؤمن بها ويشبها الله تعالى كما جاءت . فليس مما يوافق
الكتاب والسنة جمعها في نسق واحد ، يوهم تصور ما لا يليق بكمال الله تعالى . كما يقول
بعضهم : يجب أن تؤمن بأن الله تعالى وجها ، وأعيناً ، ويدين ، وأصابع ، وساقاً ، . . . إلخ . فإن
سياقها مجتمعة بهذه الصورة قد يوهم بأن الله تعالى وتقدس كل مركب من أجزاء ، أو جسم
مكون من أعضاء . . . ولم يعرضها القرآن الكريم ولا الحديث الشريف بهذه الصورة . ولم يشترط
الرسول لدخول أحد في الإسلام أن يؤمن بالله تعالى بهذا التفصيل المذكور . ولم يرد أن الصحابة
وتابعيهم بإحسان كانوا يعلمون الناس العقيدة بجمع هذه الصفات ، كما تجمع في بعض الكتب
المؤلفة في ذلك . انظر : الإخوان المسلمون ، د : يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، ٣٤٣/١ .

قلت : يا رسول الله ما عندك من علم الغيب ؟ فضحك لعمر الله علم أني أتبغي السقطة ؛ فقال : ضنّ ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله ، وأشار بيده ، فقلت : ما هن يا رسول الله ؟ قال : علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه ، وعلم المنى حين يكون في الرحم قد علمه وما تعلمونه ، وعلم ما في غد قد علم ما أنت طاعم ولا تعلمه ، وعلم يوم الغيث ؛ يشرف عليكم أزليين مشفقين فيظل يضحك قد علم أن غوثكم إلى قريب . قال لقيط : فقلت : لن نعدم من رب يضحك خيرا يا رسول الله^(١) .

وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن إسماعيل بن أمية رفعه إلى النبي ﷺ قال : « إن الله ليضحك منكم أزليين بقرب الغيث منكم . قال : فقال رجل من باهلة : يا رسول الله إن ربنا ليضحك ؟ قال : نعم . قال : فوالله لا عدمننا الخير من رب يضحك^(٢) .

وأذكر من الأحاديث التي أثبتت الضحك لله تعالى ما يلي :

- ١- ضحكه سبحانه من آخر أهل الجنة دخولا .
- ٢- ضحكه سبحانه من قاتل ومقتوله يدخلان الجنة .
- ٣- الرحمن جل جلاله يضحك من صنيع أبي طلحة وزوجه .
- ٤- سيد الأنصار يضحك له الرحمن .
- ٥- ثلاثة أصناف أخرى يضحك الله لها .

(١) رواه أحمد (١٦١٨٧) عن أبي رزین وقال محققو المسند : إسناده ضعيف ، ورواه ابن حبان (٦١٤١) والطبرانی في الكبير (٤٦٦/١٩) . وذكره الألبانی في السلسلة الصحيحة (٢٨١٠) وقال : حسن بمجموع الطرق .
(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٨٤/٣) .

ضحكه سبحانه من آخر أهل الجنة دخولاً

عن عطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبره أن أناساً قالوا لرسول الله ﷺ :
يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هل تضارون في رؤية
القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : هل تضارون^(١) في الشمس ليس
دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : فإنكم ترونه كذلك . . . إلى أن قال :
ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو
آخر أهل الجنة دخولاً الجنة ، فيقول : أي رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد
قشبنى ريحها وأحرقني ذكاؤها^(٢) ، فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه ، ثم يقول الله
تبارك وتعالى : هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره ؟ فيقول لا أسألك
غيره ، ويعطي ربه من عهود وموآثيق ما شاء الله ، فيصرف الله وجهه عن النار فإذا
أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت . ثم يقول : أي رب قدمني إلى
باب الجنة ، فيقول الله له : أليس قد أعطيت عهودك وموآثيقك لا تسألني غير الذي
أعطيتك ، وملك يا ابن آدم ما أغدرك ، فيقول : أي رب ويدعو الله ، حتى يقول له :
فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره ؟ فيقول : لا وعزتك فيعطي ربه
ما شاء الله من عهود وموآثيق ، فيقدمه إلى باب الجنة ؛ فإذا قام على باب الجنة
انفهمته^(٣) له الجنة ، فرأى ما فيها من الخير والسرور ، فيسكت ما شاء الله أن
يسكت ، ثم يقول : أي رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له : أليس قد
أعطيت عهودك وموآثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت ؟ وملك يا ابن آدم ما أغدرك ،
فيقول : أي رب لا أكون أشقى خلقك . فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك

(١) تشكُّون .

(٢) لهيها .

(٣) اتسعت

وتعالى منه ، فإذا ضحك الله منه قال : ادخل الجنة ، فإذا دخلها قال الله له : نمنه .
 فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا ، حتى إذا انقطعت به الأمانى
 قال الله تعالى : ذلك لك ومثله معه . قال عطاء بن يزيد : وأبو سعيد الخدري مع
 أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئا حتى إذا حدث أبو هريرة أن الله قال لذلك
 الرجل : ومثله معه . قال أبو سعيد : وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة ، قال أبو
 هريرة ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله معه . قال أبو سعيد : أشهد أنني حفظت
 من رسول الله ﷺ قوله : ذلك لك وعشرة أمثاله . قال أبو هريرة : وذلك الرجل
 آخر أهل الجنة دخولا الجنة»^(١).

وفي رواية عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : آخر من يدخل الجنة رجل ؛
 فهو يمشي مرة ، ويكبو مرة ، وتسفعه النار مرة ، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال :
 تبارك الذي نجاني منك ، لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين ،
 فترفع له شجرة ، فيقول : أي رب أذنني من هذه الشجرة ، فلاستظل بظلها وأشرب
 من مائها ، فيقول الله عز وجل : يا ابن آدم لعلي إن أعطيتها سألتني غيرها ،
 فيقول : لا يا رب ويعاهده أن لا يسأله غيرها ، ورب يعذره لأنه يرى ما لا صبر له
 عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة هي أحسن
 من الأولى ، فيقول : أي رب أذنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها
 لا أسألك غيرها . فيقول : يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها ؟ فيقول :
 لعلي إن أذيتك منها تسألني غيرها ، فيعاهده أن لا يسأله غيرها ورب يعذره لأنه
 يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ، ثم ترفع له
 شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين ، فيقول : أي رب أذنني من هذه
 لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها ، فيقول : يا ابن آدم ألم تعاهدني
 أن لا تسألني غيرها ؟ قال : بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها ، ورب يعذره لأنه
 يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها ، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة ،

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٧٣) ورواه مسلم في الإيمان (١٨٢) .

فيقول : أي رب أدخلنيها ، فيقول : يا ابن آدم ما يصّرني^(١) منك ؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ، قال : يا رب أستهزئ مني وأنت رب العالمين ؟ فضحك ابن مسعود فقال : ألا تسألوني مم أضحك ؟ فقالوا : مم تضحك ؟ قال : هكذا ضحك رسول الله ﷺ ، فقالوا مم تضحك يا رسول الله ؟ قال من ضحك رب العالمين حين قال : أستهزئ مني وأنت رب العالمين فيقول : إني لا أستهزئ منك ، ولكنني على ما أشاء قادر^(٢) .

هذا الحديث الذي تعددت رواياته ؛ يصور موقفاً لآخر أهل الجنة دخولاً ، وهو ولا شك قد أسرف على نفسه ، وارتكب ما ارتكب من الذنوب والخطايا ، ووقع فيما وقع من الآثام والبلايا ، لكن الله سبحانه وتعالى يظهر للعبد عفوه ، وييدي له عظيم عطائه ، والعبد لا يصبر كلما رأى نعمة من نعم الجنة تلوح له ، فيقسم ثم يحنث ، ويحلف ولا يثبت ، ويعاهد ربه ثم يخلف ، وهذا سبب ضحك الرب من عبده .

وأما قول العبد لربه : (أستهزئ مني وأنت رب العالمين ؟)
 أو (لم تهزأ بي وأنت ربي ؟) أو (أتسخر مني وأنت الملك ؟) أو (أتضحك بي
 وأنت الملك ؟)

وفي معنى ذلك أقوال :

● أحدها قال المازري : إنه خرج على المقابلة الموجودة في معنى الحديث دون لفظه ؛ لأنه عاهد الله مرارا أن لا يسأل ، ثم غدر ، فحل غدره محل الاستهزاء والسخرية ، فقدر الرجل أن قول الله تعالى له (أدخل الجنة) ، وتردده إليها ، وتخيل كونها مملوءة ضرب من الإطعام له والسخرية به جزاء لما تقدم من غدره ، وعقوبة له ، فسمي الجزاء على السخرية سخرية ، فقال : تسخر بي ؟ أي تعاقبني بالإطعام .

(١) بفتح الباء وسكون الصاد : أي من يقطع مسألتك مني ، والصري القطع .

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٨٧) .

● **والقول الثاني** قاله أبو بكر الصيرفي : أن معناه نفي السخرية التي لا تجوز على الله تعالى ، كأنه قال : اعلم أنك لا تهزأ بي لأنك رب العالمين ، وما أعطيتني من جزيل العطاء وأضعاف مثل الدنيا حق ، ولكن العجب أنك أعطيتني هذا ، وأنا لست أهل له . قال : والهمزة في أتسخر بي همزة نفي ، قال : وهذا كلام منبسط متدلل .

● **والقول الثالث** قال القاضي عياض : أن يكون صدر من هذا الرجل لما ناله من السرور ببلوغ ما لم يخطر بباله ؛ فلم يضبط لسانه دهشا وفرحا ، فقاله وهو لا يعتقد حقيقة معناه ، وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوق ، وهذا كما قال النبي ﷺ في الرجل الآخر إنه لم يضبط نفسه من الفرح فقال : « أنت عبدي وأنا ربك »^(١).

وأما الزيادة بين رواية أبي سعيد ورواية أبي هريرة ؛ قال العلماء : وجه الجمع بينهما : أن النبي ﷺ أعلم أولا بما في حديث أبي هريرة ، ثم تكرم الله تعالى فزاد ما في رواية أبي سعيد ؛ فأخبر به النبي ﷺ ولم يسمعه أبو هريرة^(٢) . وهذا الحديث دليل ظاهر على رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ، وليس هذا الحديث وحده ؛ وإنما كثرت الأحاديث ، حتى قال ابن القيم في « حادي الأفراح » : وأما الأحاديث عند النبي وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة ، وعدد ابن القيم من الصحابة الذين رووا هذه الأحاديث (١٣) صحابياً ، ثم قال قبل أن يذكر الروايات : فهناك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن ، وتلقاها بالقبول والتسليم وانشراح الصدر ، لا بالتحريف والتبديل ، ولا تكذب فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين ، وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين^(٣) .

(١) انظر : تحفة الأحوزي ، ٧ / ٢٧٢ .

(٢) انظر : فتح الباري ، ٣ / ٢٤ .

(٣) انظر : صحيح حادي الأرواح ، ابن القيم ، تخريج واختصار : عبد الحميد الدخاخي ، ص ٢٦٨ وما بعدها ، ط دار الطباعة والنشر الإسلامية ١٩٩٠م ، وللإستزادة في هذا الموضوع راجع : معارج القبول ، حافظ بن أحمد الحكمي ، ١ / ٣٠٥ وما بعدها ، ط دار ابن القيم الثانية ١٩٩٥م .

بعض ما يستفاد من الحديث :

- ١- في الحديث دلالة على أن مرتكب الكبيرة لا يخلد في النار .
- ٢- وفيه دلالة على حقارة الدنيا وصغر نعيمها إذا قيس بنعيم الجنة .
- ٣- وفيه دلالة على عفو الله عز وجل .
- ٤- وفي هذا جواز الضحك وأنه ليس بمكروه في بعض المواطن ، ولا يسقط المروءة إذا لم يجاوز به الحد المعتاد من أمثاله في مثل تلك الحال .

ضحكه سبحانه من قاتل ومقتوله يدخلان الجنة ! !

عن أبي هريرة : قال رسول الله ﷺ : « يضحك الله عز وجل لرجلين يقتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة » قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : « يقتل هنا فيلج الجنة ، ثم يتوب الله على الآخر ، فيهديه إلى الإسلام ، ثم يجاهد في سبيل الله عز وجل فيشهد » .^(١)

وفي رواية : عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « ضحك الله من رجلين قتل أحدهما صاحبه وكلاهما في الجنة » .^(٢)

لقد ضحك الله عز وجل ضحكاً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، ولا مانع هنا من أن يفيد الضحك التعجب من حال الرجلين ، قال ابن عبد البر : معنى هذا الحديث عند أهل العلم : أن القاتل الأول كان كافراً ، قلت : وهو الذي استنبطه البخاري في ترجمته .

ولكن لا مانع أن يكون مسلماً ؛ لعموم قوله « ثم يتوب الله على القاتل » كما لو قتل مسلم مسلماً عملاً بلا شبهة ، ثم تاب القاتل واستشهد في سبيل الله ، وإنما يمنع دخول مثل هذا من يذهب إلى أن قاتل المسلم لا تقبل له توبة .^(٣)

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٩٠) .

(٢) رواه ابن حبان (٤٦٦٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٨٥) .

(٣) انظر : فتح الباري ، ٦ / ٤٠ .

ويشهد للرأي الأول حديث أبي هريرة وفيه : « قيل : كيف يا رسول الله ؟ قال :
« يكون أحدهما كافراً ، فيقتل الآخر ، ثم يسلم فيغزو فيقتل »^(١).

وعلى هذا فيشترط لدخول القاتل الجنة أن يتوب إن كان مسلماً ، أو يسلم إن كان كافراً . قال الحافظ في الفتح : قوله « ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد » زاد همام « فيهديه إلى الإسلام ثم يجاهد في سبيل الله فيستشهد » ومن أمثال هؤلاء : عكرمة بن أبي جهل وأبو سفيان بن حرب وابنه معاوية ، وغيرهم ممن أسلموا بعد قتالهم للنبي ﷺ وأصحابه^(٢).

والمأمل لحياة الصحابة رضي الله عنهم ؛ يرى هذا الحديث شاهداً على حياة كثير منهم ، فهنا عكرمة بن أبي جهل ، كم قتل من الصحابة في بدر وأحد ؟ وهذا خالد ابن الوليد كم قتل هو الآخر في بدر وأحد ؟ وهذا عمرو بن العاص لا يقل عنهم شأناً ، وهذا أبو سفيان بن حرب وابنه معاوية ، كم قاتل وقتل هؤلاء ؟

ولكن من الله عليهم ، وهداهم للإسلام فأسلموا ، وشرح صدورهم للإيمان فأمنوا ، ونادى عليهم مناد الجهاد فلبوا ، وتزينت لهم الجنة فشمروا فرضي الله عنهم ، وجمعنا بهم في جنة الفردوس .

وقد روي أن من تأخر من الصحابة وقاتلوا رسول الله ﷺ ثم هداهم الله ، كانوا يقولون لإخوانهم : نحن أدخلناكم الجنة ، وأنتم أدخلتمونا النار . ومن هؤلاء : ضرار بن الخطاب بن مرداس كان فارساً شاعراً ، أسلم متأخراً في فتح مكة : وكان يقول : زوجت عشرة من أصحاب النبي ﷺ بالحوار العين . وقال يوماً لأبي بكر : نحن خير لقريش منكم ، أدخلناهم الجنة ، وأنتم أدخلتموهم النار^(٣).

إن من عظمة الإسلام أن جعل من الحسنات ما تمحى به السيئات ، ومن العبادات ما تغفر به الكبائر ، ومن ذلك : الإسلام ، والتوبة ، والهجرة . . . وغير

(١) انظر : فتح الباري ، ٤٠/٦ .

(٢) انظر : فتح الباري ، ٤٠/٦ .

(٣) انظر : الإصابة ، ابن حجر ، ٤٨٤/٣ .

ذلك من الأعمال الصالحة ، ويكفي في مثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (هود: ١١٤) وقوله سبحانه : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان: ٧٠).

بعض ما يستفاد من الحديث :

- ١- فتح باب التوبة للعصاة .
- ٢- وأن الإسلام يجب ما قبله .
- ٣- أن كل من قتل في سبيل الله فهو في الجنة ^(١).

الرحمن جل جلاله يضحك من صنيع أبي طلحة وزوجه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أصابني الجهد ^(١) ، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا . فقال رسول الله ﷺ : ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله . فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله . فذهب إلى أهله ، فقال لامرأته : ضيف رسول الله ﷺ لا تدخره شيئا . قالت : والله ما عندي إلا قوت الصبية . قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهن ، وتعالى فأطفتي السراج ونطوي بطوننا الليلة ، ففعلت . ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال : لقد عجب الله عز وجل أو ضحك من فلان وفلانة ؛ فأنزل الله عز وجل ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر: ٩) ^(٢).

كرم الضيفان خلق من أخلاق العرب عرفوا به قبل الإسلام ، واشتهر به بعضهم ؛ ومنهم حاتم الطائي ، وهو خلق جاء به الإسلام ليعلي منه ، ويحض عليه وفي الصحيح : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » ^(٤).

(١) انظر : فتح الباري ، ٦ / ٤٠ .

(٢) الشدة والمشقة .

(٣) رواه البخاري في التفسير (٤٨٨٩) .

(٤) رواه البخاري في الأدب (٦١٣٥) ومسلم في الإيمان (٤٧) .

وفي رواية: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، جَانِزَتَهُ يَوْمَ وَلِيْلَةٍ ، وَالضِّيَافَةَ ثَلَاثَةَ أَيَامٍ ، فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ»^(١) . وقد حدد النبي ﷺ هنا وقت الضيافة الواجب على المضيف ، وهي ثلاثة أيام ، وما كان بعدها فهو من باب الصدقة .

بل جعل الإسلام واجب الضيافة حقا للضيف أن يطالب به إن تقاعس قوم على القيام به ، ففي الحديث قال ﷺ : «أَيُّمَا ضَيْفٍ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَأَصْبَحَ مُحْرَمًا ، فَلَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِقَدْرٍ قَرَاهُ ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ»^(٢) .

والحق أن أبا طلحة وزوجته جمعا في صنيعهما هذا بين أمرين :

١- الإيثار .

٢- كرم الضيفان .

ولم يكن مثل هذا الصنيع بالمستغرب على أبي طلحة وزوجته ؛ ذلك أنهما كغيرهما من الأنصار عرفوا بهذه الأخلاق النبيلة ، فلا يذكر الأنصار إلا ويذكر معهم الإيثار ، ولا يذكر كرم الضيفان إلا ويذكر الأنصار .

وهو خلق عرف به الصالحون على مر التاريخ ، ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» : أن الربيع بن خثيم ضربه الفالنج ، فطال وجعه فاشتبهى لحم دجاج ، فكف نفسه أربعين يوما ثم قال لامرأته : اشتهيت لحم دجاج منذ أربعين يوما فكففت نفسي رجاء أن تكف فأبى . فقالت له امرأته : سبحان الله وأي شيء هذا حتى تكف نفسك عنه قد أحله الله لك ، فأرسلت امرأته إلى السوق فاشتريت له دجاجة بدرهم ودانقين ، فذبحتها وشوتها واختبزت له خبزا له أصباغ ، ثم جاءت بالخبان حتى وضعت بين يديه ، فلما ذهب ليأكل قام سائل على الباب فقال :

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٠١٩) ومسلم في اللقطة (٤٨) عن أبي شريح الكعبي .

(٢) رواه أحمد في المسند (٨٩٤٨) وقال محققو المسند : إنساده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير أبي طلحة فقد روى له أبو داود والنسائي في السنن وهو ثقة ، والحاكم في مستدرکه (١٤٧/٤) وصححه ، ووافقه الذهبي .

تصدقوا عليّ ببارك الله فيكم . فكف عن الأكل وقال لامرأته : خذي هذا فلفيه وادفعيه إلى السائل . فقالت امرأته : سبحان الله . فقال : افعلي ما أمرك . قالت : فأنا أصنع ما هو خير له وأحب إليه من هذا . قال : وما هو ؟ قالت : نعطيته ثمن هذا ، وتأكل أنت شهوتك . قال : قد أحسنت اثنتى بشمنه . فجاءت بشمن الدجاجة والخبز والأصباغ . فقال : ضعيه على هذا وادفعيه جميعا إلى السائل .^(١)

وقد كان يعزّ على النبي أن يأتيه ضيف فيعجز عن استقباله ، لكن ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦) . ومن ثم فلا إثم عليه ولا حرج .

وإن المرء ليعجب حين يعلم أن رسول الله ﷺ وهو من ؟ هو رسول الله ﷺ . لا يجد في بيوت أزواجه كلها طعاماً ، ولكن ليس في ذلك غرابة ؛ إذا علمنا أن رسول الله ﷺ ما كان في الدنيا إلا كمسافر أو غريب أو عابر سبيل .

ويذكر ابن حجر أن هذا الضيف هو محدث الإسلام الأول أبو هريرة ؓ ، ويؤكد أن المضيف هو أبو طلحة زوج أم سليم ، لا غيره يُكنى بأبي طلحة ، ولا ثابت بن قيس .^(٢)

وقد جاء في رواية عند ابن أبي الدنيا : « فجعل يتلمظ وتلمظ هي حتى رأى الضيف أنهما يأكلان » إنها حيلة وخديعة ، حتى يتوهم الضيف أنهما يأكلان .

والظاهر أن الصبيان لم يكونوا في حاجة ملحة لهذا الطعام ، وإنما كان لهم لكثرة طلبهم وليس للحاجة إليه ، قال النووي : هذا محمول على أنهم لم يكونوا محتاجين إلى الأكل ، وإنما تطلبه أنفسهم على جوع لا يضرهم ، فإنهم لو كانوا على حاجة بحيث يضرهم ترك الأكل لكان إطعامهم واجبا ، ويجب تقديمه على الضيافة ، وقد أثنى الله ورسوله ﷺ على هذا الرجل وامرأته ؛ فدل على أنهما لم يتركا واجبا ؛ بل أحسنا وأجملا ﷺ ، وأما هو وامرأته فأثرا على أنفسهما برضاهما مع حاجتهما وخصاصتهما ؛ فمدحهما الله تعالى وأنزل فيهما

(١) انظر : صفة الصفوة ، ابن الجوزي ، ٣ / ٦٥ ، ط دار المعرفة بيروت الثانية ١٩٧٩ م .

(٢) انظر : فتح الباري ، ٨ / ٦٣٢ .

﴿ وَيُؤْتُونَكَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر: ٩) ففيه فضيلة الإيثار والحث عليه^(١).

وهذا الإيثار الذي عرف به الأنصار وغيرهم إنما يكون في أمور الدنيا أما الطاعات فلا إيثار فيها ، قال النووي : وقد أجمع العلماء على فضيلة الإيثار بالطعام ونحوه من أمور الدنيا وحفظ النفوس ، أما القربات فالأفضل أن لا يؤثر بها لأن الحق فيها لله تعالى^(٢).

بعض ما يستفاد من الحديث :

قال النووي : هذا الحديث مشتمل على فوائد كثيرة منها :

- ١- ما كان عليه النبي ﷺ وأهل بيته من الزهد في الدنيا ، والصبر على الجوع وضيق حال الدنيا .
- ٢- ومنها أنه ينبغي لكبير القوم أن يبدأ في مواساة الضيف ومن يطرقهم بنفسه ؛ فيواسيه من ماله أولاً بما يتيسر إن أمكنه ، ثم يطلب له على سبيل التعاون على البر والتقوى من أصحابه .
- ٣- ومنها المواساة في حال الشدائد .
- ٤- ومنها فضيلة إكرام الضيف وإيثاره .
- ٥- ومنها متقبة لهذا الأنصاري وامرأته ﷺ .
- ٦- ومنها الاحتيال في إكرام الضيف إذا كان يمتنع منه رفقا بأهل المنزل ؛ لقوله « أطفئي السراج وأريه آنا نأكل » فإنه لو رأى قلة الطعام وأنهما لا يأكلان معه لامتنع من الأكل^(٣).

(١) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ، النووي ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت ، ١٣٩٢ هـ ج ١٢/١٤ .

(٢) انظر : شرح النووي ، ١٢/١٤ .

(٣) انظر : شرح النووي ، ١٢/١٤ .

سيد الأنصار يضحك له الرحمن

عن أسماء بنت يزيد بن سكن قالت : لما توفي سعد بن معاذ رضي الله عنه صاحته أمه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا يرقأ ^(١) دمعك ويذهب حزنك ؟ فإن ابنك أول من ضحك الله له ، واهتز له العرش ^(٢) .

يخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن مكانة سعد بن معاذ عند ربه ، فيا ترى من يكون هذا الرجل صاحب هذه المكانة العظيمة ؟ !

إنه سعد بن معاذ كان من أعظم الناس بركة في الإسلام ، شهد بدرًا بلا خلاف فيه وشهد أحدا والخندق ، وكان موته بعد الخندق بشهر وبعد قريظة بليال ^(٣) .

من مواقف سعد ومناقبه :

ومواقف سعد رضي الله عنه في نصرة الإسلام لا تحصى ، ومناقبه أكثر من أن تُعد ، وحديثنا هنا واحد منها ، وقد جاء في فضله عند البخاري « أتعجبون من هنا ؟ - حرير أهدي إليه - لمناديل سعد بن معاذ خير منها وألين ^(٤) .

قال العلماء : إنما ضرب المثل بالمنديل لأنها ليست من علية الثياب ، بل هي تبديل في أنواع من المرافق يمسح بها الأيدي ، وينفض بها الغبار عن البدن ، ويُعطى بها ما يهدى ، وتتخذ لفائف للثياب ، فصار سبيلها سبيل الخادم ، وسبيل سائر الثياب سبيل المخدوم ، فإذا كان أداها هكذا فما ظنك بعليتها ^(٥) .

ومن مناقبه أيضا : أن حملت جنازته الملائكة ، ومشى في جنازته سبعون ألف ملك لم تطأ أقدامهم الأرض قبل ذلك .

(١) يسكن دمعك وتقلعي عن البكاء .

(٢) رواه أحمد (٢٧٥٨١) وقال محققو المسند : إسناده ضعيف ، ورواه الطبراني (٥٣٤٤) والحاكم

(٣) (٢٠٦/٣) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : رجاله

رجال الصحيح (٣٠٩/٩) .

(٤) انظر : الاستيعاب ، ابن عبد البر ، ط دار الجيل بيروت ، ٦٠٣/٢ .

(٥) رواه البخاري في الأيمان (٦٦٤٠) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٦٨) .

(٥) انظر : تحفة الأحوذى ، ٢٣٤/١٠ .

المقصود باهتزاز العرش :

وأما اهتزاز العرش ؛ فهل اهتز حقيقة أم لا ؟

قال النووي : اختلف العلماء في تأويله : فقالت طائفة : هو على ظاهره ، واهتزاز العرش تحركه فرحاً بقدوم روح سعد ، وجعل الله تعالى في العرش تمييزاً حصل به هذا ، ولا مانع منه كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَلْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (البقرة: ٧٤). وهذا القول هو ظاهر الحديث وهو المختار .

وقال المازري : قال بعضهم هو على حقيقته وأن العرش تحرك لموته ، قال : وهذا لا ينكر من جهة العقل ، لأن العرش جسم من الأجسام يقبل الحركة والسكون . قال : لكن لا تحصل فضيلة سعد بذلك إلا أن يقال : إن الله تعالى جعل حركته علامة للملائكة على موته .

وقال آخرون : المراد اهتزاز أهل العرش ، وهم حملته وغيرهم من الملائكة ، والمراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول ، ومنه قول العرب : فلان يهتز للمكارم ، لا يريدون اضطراب جسمه وحركته ، وإنما يريدون ارتياحه إليها وإقباله عليها . وقال الحربي : هو كناية عن تعظيم شأن وفاته ، والعرب تنسب الشيء المعظم إلى أعظم الأشياء ، فيقولون : أظلمت لموت فلان الأرض وقامت له القيامة .

وقال جماعة : المراد اهتزاز سرير الجنائز ، وهو النعش ، وهذا القول باطل ؛ يردّه صريح هذه الروايات التي ذكرها مسلم : « اهتز لموته عرش الرحمن »^(١) . وإنما قال هؤلاء هنا التأويل ؛ لكونهم لم تبلغهم هذه الروايات التي في مسلم . والله أعلم^(٢) .

بعض ما يستفاد من الحديث :

- ١- رفعة منزلة سعد بن معاذ في الدنيا والآخرة .
- ٢- مشروعية البكاء على الميت .
- ٣- مشروعية تعزية صاحب المصاب .

(١) روله مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٦٦) .

(٢) انظر : شرح النووي ، ٢٢ / ١٦ .

٤- تطيب خاطر المصاب بماثر المتوفى .

٥- مشاركة النبي لأصحابه في حزنه وتخفيفه عنهم .

ثلاثة أصناف أخرى يضحك الله لها

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله ليضحك إلى ثلاثة : للصف في الصلاة ، وللرجل يصلي في جوف الليل ، وللرجل يقاتل (أراه قال) خلف الكتبية»^(١).

تعددت الروايات التي جاءت بضحك الله تعالى لهذه الأصناف الثلاثة ومن هذه الروايات ما يلي :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل الجهاد عند الله يوم القيامة الذين يلقون في الصف الأول ، فلا يلتفتون وجوههم حتى يقتلوا ، أولئك يتلبطون^(٢) في العُرف العُلى من الجنة ، ينظر إليهم ربك ، إن ربك إذا ضحك إلى قوم فلا حساب عليهم»^(٣).

وعن عطاء بن السائب عن مرة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ألا إن الله عز وجل يضحك إلى رجلين : رجل قام في ليلة باردة من فراشه ولحافه ودثاره فتوضأ ، ثم قام إلى صلاة ، فيقول الله عز وجل لملائكته : ما حمل عبدي هذا على ما صنع؟ فيقولون : ربنا رجاء ما عندك ، وشفقة مما عندك . فيقول : فإنني قد أعطيته ما رجا ، وأمنته مما خاف . ورجل كان في فئة فعلم ما له في الفرار ، وعلم ما له عند الله فقاتل حتى قتل ، فيقول للملائكة : ما حمل عبدي هذا على ما صنع ؟ فيقولون : ربنا رجاء ما عندك ، وشفقة مما عندك فيقول : فإنني أشهدكم أنني قد أعطيته ما رجا ، وأمنته مما خاف « أو كلمة شبيهة بها ».

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٠٠) وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٣٥) .

(٢) يتمرغون في النعيم ، والتلبط هو التمرغ في النعيم .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٢٢٧/٢) وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٥٨) .

وفي رواية أخرى : قال : رجلان يضحك الله إليهما رجل تحته فرس من أمثل خيل أصحابه ، فلقبهم العدو فانهزموا وثبت الآخر ، إن قتل قتل كلاهما ، فذلك يضحك الله إليه . ورجل قام من الليل لا يعلم به أحد فأسبغ الوضوء وصلى على محمد ﷺ وحمد الله واستفتح القراءة فيضحك الله إليه ، يقول : انظروا إلى عبدي لا يراه أحد غيري^(١) .

وروى عبد الرزاق في مصنفه عن أبي ذر قال : ثلاثة يضحك الله تعالى إليهم ويتبشش^(٢) الله لهم : رجل قام من الليل وترك فراشه ودفاهه ، ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فيقول الله لملائكته : ما حمل عبدي هذا على ما صنع ؟ فتقول : أنت أعلم ، فيقول : أنا أعلم به ولكن أخبروني ، فيقولون : خوفه شيئاً فخافه ورجيته شيئاً فرجاه ، فيقول أشهدكم أنني قد أمنتهم مما خاف وأوجبت له ما رجا ، قال : ورجل كان في سرية ولقوا العدو فانهزم أصحابه ، وثبت هو حتى قتل أو فتح الله عليه ، ورجل أسرى ليلته ، حتى إذا كان في آخر الليل نزل هو وأصحابه ، فنام أصحابه وقام هو يصلي^(٣) .

هذه الروايات كلها تتحدث عن أصناف ثلاثة :

الأول : مجاهد في الصف الأول ، لقي عدوه فثبت ؛ وهل الجهاد إلا الثبات ، ولهذا كان النبي ﷺ إذا حضرت المعارك ، واجتمع الخصمان ، وتلاحم الصفان ، نادى في أصحابه بالثبات ، وها هو ﷺ ينادي في أصحابه يوم بدر ويقول : « والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة »^(٤) .

(١) رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعاً (١٠١/٩) وذكره الألباني في صحيح الترغيب ، وقال حسن لغيره (٦٣٠) .

رواه الطبراني في الكبير . وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : إسناده حسن (٢٥٦/٢) .

(٢) سر به وأقبل عليه ، والتبشيش هو المسرة به والإقبال عليه . الفائق ، ١٠٩/١ .

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١٨٥/١١) .

(٤) انظر : السيرة النبوية ، ابن هشام ، طبعة دار الجيل بيروت ، ط الأولى ١٤١١ هـ ، ٢٣٩/١ .

وقد سمع الصحابة من النبي ﷺ هذا الكلام وعلموا أن الرسول أراد أن يزرع فيهم إرادة قوية ، وعزيمة ثابتة ، وهمة راسخة رسوخ الشَّم الرواسي ، فتفاعلوا مع هذا الكلام المشرق ، حتى رأينا عمير بن الحمام الأنصاري يلقي ما في يده من تمرات ويقول : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة ، وأخذ يقول :

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضه الفساد
غير التقى والبر والرشاد

فقاتل حتى قتل ^(١).

وهذا عكرمة بن أبي جهل في اليرموك يضرب لنا أروع أمثلة على الثبات ، حين اشتدت المعركة ونزل عن جواده ، وكسر غمد سيفه ، وأوغل في صفوف الروم ، فناداه خالد بن الوليد وقال : لا تفعل يا عكرمة فإن قتلك سيكون شديداً على المسلمين .

فقال : إليك عني يا خالد ، فلقد كان لك مع رسول الله ﷺ سابقة ، أما أنا وأبي فقد كنا من أشد الناس على رسول الله ﷺ ، فدعني أكفر عما سلف مني ، ثم قال : لقد قاتلت رسول الله في مواطن كثيرة وأفر من الروم اليوم !؟ إن هذا لن يكون أبداً. ثم نادى في المسلمين : من يبايع علي الموت ؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزور في أربعمائة من المسلمين ، فقاتلوا دون فسطاط خالد أشد القتال ، وذادوا عنه أكرم الزود .

ولما انجلت المعركة عن ذلك النصر المؤزر للمسلمين ؛ كان يتمدد على الأرض ثلاثة مجاهدين أثختهم الجراح هم : الحارث بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ^(٢).

(١) انظر : زاد المعاد ، مرجع سابق ، ١٨٢ / ٣ .

(٢) انظر : صور من حياة الصحابة ، د : عبد الرحمن رأفت الباشا ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، ط دار الأدب الإسلامي الأولى ١٩٩٧ م .

الثاني : رجل رأى الليل وقد أرخى سدوله ، وأوى كل خلٍ إلى خليله ، وكل حبيب إلى حبيبه ، وأخذ كل واحد من الناس جنباً من سريره ، وقد فعل هو مثلهم ، لكنه عاش بين الخوف والطمع ، بين الرغبة والشفقة ، الرغبة فيما عند الله الخالق من النعيم ، والشفقة فيما عنده من العذاب ، فقام تاركاً فراشه اللين ، ومضجعه الوثير ، وقام يناجي مولاه ، ولسان حاله يقول :

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضائع

وهذا حق لربه أن يضحك له ؛ ولم لا وقد ترك ما تهفو إليه النفوس طمعاً فيما عند الله ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ (الرحمن: ٦٠).

الثالث : الصف في الصلاة ، إن الصلاة شعار هذا الدين ، وقد حرص الإسلام على أدائها في جماعة ، كما حرص النبي ﷺ على حسن صفوفها فقال : « ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ فقالوا : يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال : يتمون الصف الأول ، ويتراصون في الصف »^(١).

وكان ﷺ يحذرهم من عدم الصف في الصلاة ، ويشدد لهم الوعيد ، فيقول : « أقيموا صفوفكم وتراصوا ، فإني أراكم من وراء ظهري »^(٢).

بعض ما يستفاد من الحديث :

١- في الحديث إشارة إلى علو مكانة الشهداء ، ورفعة منزلتهم ، وقد خص الحديث المجاهدين في الصف الأول بهذه الخاصية والتي هي ضحك الله عز وجل لهم ؛ من جرأتهم وإقدامهم .

٢- فضل صلاة الليل ، وعظيم أجر من حافظ عليها .

٣- مشروعية صلاة الجماعة ، والحض على ترتيب صفوفها ؛ فإن ذلك من شعائر الإسلام .

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٣٠) عن جابر .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في الأذان (٧١٨) . ومسلم في الصلاة (٤٣٤) .

ثبوت التبشيش^(١) كما ثبت الضحك

وكما ثبت الضحك لله سبحانه ؛ فقد ثبت له جل جلاله التبشيش ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من رجل كان يوطن المساجد فشغله أمر أو علة ، ثم عاد إلى ما كان ، إلا تبشيش الله إليه كما يتبشيش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم »^(٢) .

وفي رواية عن سعيد بن يسار أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول صلى الله عليه وسلم : « لا يتوضأ أحدكم فيحسن وضوءه ويسبغه ثم يأتي المسجد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا تبشيش الله إليه كما يتبشيش أهل الغائب بطلعته »^(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما توطن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر ؛ إلا تبشيش الله له كما يتبشيش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم »^(٤) .

وهذه الأحاديث تدل هنا على فرح الله سبحانه بتوبة عبده ، وإقباله عليه ، وهذا يكون في إتيان العبد للطاعة ، وفي إقلاعه عن المعصية والعودة إليه تعالى ، ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « لله أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه ، من أحدكم كان على راحلة بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها ، قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك ، إذ هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال : من شدة الفرح - اللهم أنت عبدي وأنا ربك - أخطأ من شدة الفرح »^(٥) .

(١) التبشيش هو : المسرة بالشيء والإقبال عليه .

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٣٥٩) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٢٧) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٨٠٦٥) وقال محققو المسند : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٠٣) .

(٤) رواه ابن ماجه في المساجد والجماعات (٨٠٠) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٦٥٢) .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٨) ومسلم (٢٧٤٤) عن ابن مسعود .